

طه حسين

الفننة الكبرى

٢

علاء

وبنوه

طه حسين

على وبنوه

004159K

كتب أخرى للمؤلف

- في المباحث الإسلامية :
- في الأدب والنقد :
- في الأدب الجاهلي
- حديث الأربعة (٣ أجزاء)
- مع المتنبي
- من حديث الشعر والنثر
- في أدب التمثيل :
- في القصة والرواية :
- الحب الضائع
- شجرة البؤس
- المعذبون في الأرض
- في التراجم والسير :
- على هامش السيرة (٣ أجزاء)
- عثمان
- الشيخان
- الأيام (٣ أجزاء)
- في الاجتماع :
- في التربية :
- في سلسلة اقرأ :
- مرآة الإسلام
- فصول في الأدب والنقد
- تجديد ذكرى أبي العلاء
- مع أبي العلاء في سجنه
- ألوان - جنة الشوك
- من الأدب التمثيلي اليوناني
- دعاء الكروان
- صوت باريس
- ما وراء النهر
- قصة لم تتم
- الوعد الحق
- على وبنوه
- قادة الفكر
- أديب
- نظام الأثينيين
- مستقبل الثقافة في مصر
- الحب الضائع
- رحلة الربيع
- المعذبون في الأرض
- أحلام شهرزاد
- الوعد الحق
- صوت أبي العلاء



ط حسين

الفتنه الكبرى

٢

علاء

وبنوه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

واجه المسلمون إثر قتل عثمان رحمه الله مشكلتين من أخطر ما عرض لهم من المشكلات منذ خلافة أبي بكر ، إحداهما تتصل بالخلافة نفسها والأخرى تتصل بإقرار النظام وإنفاذ أمر الله فيمن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض .

فقد أمسى المسلمون يوم قتل عثمان وليس لهم إمام يدبّر لهم أمورهم ويحفظ عليهم نظامهم وينفذ فيهم سلطانهم ويقم فيهم حدود الله ويرعى بعد هذا كله أمور هذه الدولة الضخمة التي أقامها أبو بكر وعمر ، وزادها عثمان سعة في الشرق والغرب . فهذه البلاد التي فُتحت عليهم ولم يستقر فيها سلطانهم بعد كانت في حاجة إلى من يضبط أمرها ويحكم نظامها ويبعد حدودها التي لم تكن تثبت إلا للتغير ؛ لاتصال الفتح منذ نهض أبو بكر بالأمر إلى أن كانت الفتنة وشغل المسلمون بها أو شغل فريق من المسلمين بها عن الفتوح .

وكانت للمسلمين جيوش مرابطة في الثغور تقف اليوم لتضى غداً إلى الأمام . وهذه الجيوش لم تكن مشغولة بالفتح وحده وإنما كانت مشغولة كذلك بإقرار النظام فيما فُتح عليها من الأرض ، وتثبيت السلطان الجديد على أنقاض السلطان القديم ، واستحداث نظم في الإدارة تلائم مزاج الفاتحين ، واستبقاء نظم في الإدارة أيضاً تلائم مزاج المغلوبين . وهذه الجيوش كانت محتاجة إلى من يمددها بالجنود والعتاد ويرسم لها الخطط ويدبر لها من الأمر ما تحتاج إلى تدبيره .

وأوضح أن الذين قتلوا عثمان لم يكونوا هم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان نفسه من المهاجرين والأنصار ، وإنما كانوا شراراً من الجيوش المرابطة في ثغور البصرة والكوفة ومصر ومن ثاب إليهم من الأعراب ومن أعانهم من أبناء المهاجرين وكانت الجليّة من أصحاب النبي المهاجرين والأنصار قد وقفت مواقف ثلاثة

مختلفة من هذه الفتنة :

وأما كثرتهم فكانت تبرى وتُنكر وتَسهمّ بالإصلاح فلا تجد إليه سبيلا فتسكت عن عجز وقصور لا عن تهاون وتقصير . وأما فريق منهم فقد شُبّهت عليهم الأمور فأثروا العافية والتزموا الحيدة واعتزلوا الفتنة . وكانت قد وقعت إليهم أحاديث عن النبي تخوّف من الفتنة وتأمر باجتنابها . فلزم بعضهم البيوت ، وترك بعضهم المدينة مجاناً للناس فأراً بدينه إلى الله . وفريق ثالث لم يُدعنا للعجز ولم يؤثروا الحيدة والاعتزال وإنما سعوا بين عثمان وخصومه ، بعضهم ينصح للخليفة ويحاول الإصلاح بينه وبين الثائرين ، وبعضهم ينقم من الخليفة فيحرض عليه ويغري به ، أو يقف موقفاً أقل ما يوصف به أنه لم يكن موقف الخذل للثائرين أو المنكر عليهم .

الاعتزال في الفتنة

المعتزلون في الاعتزال وحملوا الله على أنهم لم يشاركوا في الإثم ولم يجربوا ولم يوضعوا في الفتنة . وأما الآخرون فجعلوا يترقبون ما يصنع الناس ، يفكرون في أنفسهم أو يفكرون فيمن يلوذون به من الزعماء . ولم يكن للمسلمين نظام مقرر مكتوب أو محفوظ يشغلون به منصب الخلافة حين يخلو ، وإنما كانوا يواجهون خلوا هذا المنصب كما يستطيعون أن يواجهوه .

فأنت تعلم كيف بويح أبو بكر ، وكيف رأى عمر أن بيعته كانت فلتته وفي الله المسلمين شرها . وأنت تعلم أن عمر إنما بويح بعهد من أبي بكر إليه وإلى المسلمين . وقد قبل المسلمون عهد أبي بكر لم ينكره ولم يجادل فيه منهم أحد . وقد همّ نفر من المهاجرين أن يجادلوا أبا بكر نفسه في هذا العهد فردهم عن هذا الجدل رداً قبلوه وأذعنوا له . وأنت تعلم أن عمر لم يعهد إلى أحد وإنما جعل الأمر شورى بين أولئك نفر الستة من المهاجرين الذين مات النبي وهو عنهم راض . فاختاروا من بينهم عثمان ولم يختلف عليه منهم أحد . ولم يعهد عثمان ، ولو قد فعل لما قبل الناس عهده لكثرة ما أنكروا عليه وعلى ولاته وبطانته من الأحداث . أضف إلى ذلك أن الستة الذين عهد إليهم عمر بالشورى قد أصبحوا حين قُتل عثمان أربعة مات أحدهم عبد الرحمن بن عوف في خلافة عثمان ، وقتل

المعتزلون في الفتنة

ثانيهم وهو عثمان ، فلم يبق منهم إلا سعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله وعلى بن أبي طالب . وكان سعد قد اعتزل مع المعتزلين وتجنب الفتنة فيمن تجنّبها . فلم يبق إذن إلا هؤلاء الثلاثة : على وطلحة والزبير . ثم أضف إلى ذلك أن كثيراً من أصحاب النبي الذين بايعوا الخلفاء الثلاثة لم يكونوا حاضرين أمر الناس في المدينة . فريق منهم قضى نحبه مستشهداً في حروب الردة وفتوح الفرس والروم ، أو ميتاً في فراشه . وفريق منهم رابطوا في الثغور مجاهدين ما أطاقوا الجهاد ، مستقرين في الأمصار الجديدة حين عجزوا عن الجهاد . فلم تكن جماعة المهاجرين والأنصار التي شهدت مقتل عثمان في المدينة كجماعتهم تلك التي شهدت بيعة الخلفاء الثلاثة .

Omanin al dyaalimayle

Zubair, Ali wa Talha

وكان الأمر مختلفاً بين على وطلحة والزبير ليس لهم موقف واحد من الخليفة المقتول ولا من الظروف التي انتهت بقتله .

فأما على فكان يُخذل الناس عن الثورة والفتنة ما وجد إلى تخذيلهم عنهما سبيلا . وقد سفرَ بينهم وبين عثمان ، كما رأيت في الجزء الأول من هذا الكتاب وردّهم عن المدينة . وسفرَ بينهم وبينه مرة أخرى وأخذ لهم منه الرضا ، وحاول حين استيأس من ردّهم بعد أن احتلوا المدينة على غيرة من أهلها أن يقوم دون عثمان فلم يستطع ، واجتهد في أن يوصل إليه الماء العذب حين أدركه الظم لشدة الحصار .

وأما الزبير فلم ينشط في رد الثائرين نشاطاً ملحوظاً ، ولم ينشط في تحريضهم نشاطاً ملحوظاً أيضاً . ولكنه ظل يترقب وهو مع الثائرين . ولعله لم يكن يظن أن الأمر سيصير إلى ما صار إليه .

وأما طلحة فلم يكن يُنحى ميله إلى الثائرين ولا تحريضه لهم ولا إطماع فريق منهم في نفسه . وكثيراً ما شكّا منه عثمان في السر والجهر . والرواة يتحدثون بأنه استعان عليه بعلي نفسه ، وبأن علياً استجاب له فذهب إلى طلحة ورأى عنده جماعة ضخمة من الثائرين ، وحاول أن يرده عن خُطته تلك فلم يستجب له طلحة فخرج على من عنده وعمد إلى بيت المال فاستخرج ما فيه وجعل يقسمه بين الناس ، ففترق أصحاب طلحة عنه ورضى عثمان بما فعل على .